

نقد العهد القديم

[مهداة إلى الأخ الدكتور/ أحمد سوسة، بمناسبة
تكريم حكومة الجمهورية العراقية الموقرة له]

إعداد
الدكتور/ سامي سعيد الأحمد
(كلية الآداب ـ جامعة بغداد)

يمكن تصنيف الانتقادات التي وجهت إلى العهد القديم منذ بداية العصور الحديثة إلى أربعة أنواع:

١ ـ **هجمات علماء الطبيعية**: ففي حقل علم الفلك فإن ما توصل إليه كوبرنيكوس وغاليلو في القرنين السادس عشر والسابع عشر كانت بمثابة تحد كبير لسلطة الكنيسة الكاثوليكية. وفي القرن التاسع عشر جاءت اكتشافات تشارلس داروين في أصل الحياة والاكتشافات في حقول الجيولوجيا وعلم والمتحجرات والتي كانت بأجمعها ضربة إلى ماورد في الكتب الأولى من العهد القديم (التوراة).

٢ ـ **بحوث الفلاسفة**: ومن هؤلاء توماس هوبس (Thomas Hobbs) وفولتير وديفيد هيوم وغيرهم. وقد طرح هؤلاء أسئلة ووجهوا استفسارات كانت بمثابة ضربة أخرى أفحمت من كان يتحمس للقول بقدسية العهد القديم.

٣ ـ **دراسات علماء الاجتماع والأنتروبولوجية وعلم النفس**: فقد كتب جيمس فريزر كتابه الغصن الذهبي (The Golden Bough) الذي عرض

فيه الكثير من أوجه تراث الشعوب وأساطيرها وملاحمها التي ظهرت مشابهة لما ورد في العهد القديم.

٤ ـ **النقد الذي وجهه علماء اللاهوت أنفسهم**، والتي قسمت إلى صنفين:

(أ) **النقد الداخلي**: حيث وجهت الجهود العلمية المتواصلة للعثور على نسخ أصلية ومقارنة قواعد لغة النصوص وأسلوب الكتابة ومختلف التراجم وذلك للتأكد من أن الطبعة الأخيرة المتوافرة من العهد القديم صحيحة قدْر الإمكان.

(ب) **النقد الخارجي**: وهو جهد علمي يتطلب إعادة النظر وتمحيص ما ورد في العهد القديم من الأخبار والقصص لا من الجبهة العقائدية بل من خلال الحقيقة التاريخية. وينطلق هؤلاء من افتراض كون اليهود لا يختلفون عن البشر الآخرين (أنهم ليسوا بشعب الله المختار كما هم يقولون) ومن أن تدخل العناصر المافوق الطبيعية في الأحداث التاريخية بعيدة الاحتمال. لذا نراهم يعملون جاهدين لمعرفة الشخص أو الأشخاص الذين كتبوا بعض أجزاء العهد القديم ومتى حدثت كل واقعة مروية بالضبط للتأكد من صحة حدوثها. ويتم هذا بواسطة مقارنة الأساليب الكتابية والتسلسل والارتباط المنطقي للأحداث والروايات المروية.

وباحثو النقد الخارجي هؤلاء على نوعين أيضاً ـ فهناك أمثال أرنست رينان (Ernest Renan) الناقد الفرنسي المعروف من القرن الماضي الذي اتبع طريقة رفض التفسير الديني من نوع آراء هيوم ـ برتراند رسل الفلسفية. وآخرون، وهم الأكثرية، لم تشك في غرض الله النهائي وهدفه الأخير (الفلسفة الدينية المتعارف عليها في أوروبا). فهؤلاء إعتقدوا أنه يمكن عبادة الله على وجه أحسن بواسطة تفهم تاريخي وعلمي دقيق مضبوط لكتبه المقدسة (ومنها العهد القديم). أما مسائل أمثال من الذي كتب أسفار موسى الخمسة البانتيتوك

(Pentiteuch) وكيف تمت كتابتها؟ ومتى كان ذلك؟ فهذه لا تمت بحسب رأيهم بصلة إلى النقد الخارجي[١].

ففي بداية هذا القرن كان علماء النقد الخارجي متفقين بصورة عامة أن كتب العهد القديم من كتابة أشخاص كثيري العدد خلال فترة تمتد إلى بضعة قرون. إلى جانب كون كتب أخبار الملوك الأربعة قد استمدت من عشرة مصادر على الأقل ودونت بعد فترة ليست بالطويلة من وقوع أحداثها المدونة[٢]. في الوقت الذي استمدت به كتابات الهكستيوك (Hexatuch)، وهي الكتب الستة الأولى من العهد القديم، من أكثر من خمس وثائق.

فحوالي سنة ٩٥٠ق. م. قام مدونو الوثيقة المعروفة بين الباحثين باسم الجاهوفية (J) بجمع التراث المتناقل بصورة شفوية بين أهل يهودية. وبعد حوالي المائة سنة وفي المملكة الشمالية للمحتلين العبريين في فلسطين سجل مدونو الوثيقة المتعارف عليها الآن تحت اسم الأيلوهية (E) الكثير من الأخبار المماثلة للوثيقة الجاهوفية وذلك حوالي سنة ٧٣٤ ق. م. وبذلك كان هناك حوالي سنة ٧٢٢ ق. م. تقليدان إخباريان يسيران جنباً إلى جنب وهما الجاهوفي والأيلوهي (J E). وتأتي بعدهما وثيقة الاصلاح زمن يوشيا (جوزايا) (Josiah) والمسماة بالتثنية سنة ٦٢١ ق. م. (D) أي ديوتورنومي (Deuteronomy). والاعتقاد السائد بأن هذا الكتاب قد دون خلال نصف القرن الذي سبق تعيينه. والوثيقة الأخيرة جاءت حوالي سنة ٤٤٤ ق. م. عندما رجع عزرة (المعروف بالكاتب) من بلاد بابل وجمع ما لدى اليهود من كتابات وأخبار. وتسمى هذه الوثيقة

---

(١) Charles A. Bridggs: Biblical Study, (Edinburgh, 1884(, p.227; William F. Albright, The Archaeology of Palestine and the Bible, (New York, 1932), p.127; Samuel R. Driver, Introduction to the Literature of the Old Testament, (Edinburghm, 1913), pp.IX-X.

(٢) Charles F. Kent, The Growth and Contents of the Old Testament (New York, 1925) pp.58-67; George Adam Smith, Modern Criticism and Preaching of the Old Testament, 2nd ed. (New York, 1901), pp.43 ff.; J. Coppens, Review of E.J. Kraeling's, The Old Testament Since the Reformation, Journal of Scientific Studies, Vol.11, Nol.1, (1957), pp.99-101.

بالكهنوتية. وبذلك تكون مصادر الهكستيوك (بالنسبة إلى علماء النقد الخارجي) في نهاية القرن الماضي أربعة. والكتاب على هيئته الحالية، هو محصل ما أخذ من هذه المصادر الأربعة من أخبار.

رغم أن الإصلاح الديني البروتستانتي كان تقدمياً في طبيعته نظراً لتحديه سلطة الكنيسة الكاثوليكية في روما. لكنه لم يؤد بصورة مباشرة إلى النقد الخارجي للعهد القديم. وقد أكدت المذاهب البروتستانتية الجديدة على قدسية الكتاب مما أوصد على الباحثين أبواب النقد الخارجي واضعين الثقل على النقد الداخلي وعمدوا إلى جمع ومقارنة الكتب المختلفة منه والتي تروي ــ بحسب المتعارف عليه ــ كلمات الله. وأدى هذا إلى التساؤل فيها إذا كانت أقسام من الكتاب فعلاً هي من كلام الله. ودرس مارتين لوثر الكتب الست والأربعين المحاطة بالقدسية ورفض منها سبعاً وهي المعروفة بالرؤى الرمزية (الأبوكريفا) (Apocrypha). وهذا الرجوع إلى الفكرة القانون الكنسي هو ما تمسك به جيروم في القرن الرابع المستندة على أسس ثيولوجية غامضة. وبيّن باحثو النقد الخارجي خطأ ذلك وأخذوا يتساءلون عن القانون الكنسي (Canon) والأسباب التي تجعل أياً من هذه الكتب مقدسة. وبذلك يكون النقد الداخلي مرتبطاً مع النقد الخارجي وتكون الثورة البروتستانتية قد ساعدت البحث في النقد الخارجي [1].

وأتت الخطوات الهامة في النقد الخارجي من الفلاسفة. فكان توماس هوبس بكتابه الموسوم ليفياثان (Leviathan) سنة ١٦٦١ قد اهتم بالدرجة الأولى بأصول وطبيعة ميثاق سيناء وانبرى يتساءل عن أمور متعارف عليها ومسلم بها بين الكل من أن موسى نفسه قد كتب الأسفار الخمسة الأولى. فكيف يصف

---

(١) J.T. Schotwell, The History of History, (New York, 1939), pp.140-141, James Westfall Thompson, A History of Historical Writing, 2 Vols. (New York, 1942) Vol.2, p.575; Archibald Duff, History of Old Testament Criticism (New York, 1910), p.126; Edward Queen Gray, Old Testament Criticism its Rise and Progress from the Second Century to the End of the Highteenths. A Historical Sketch, (New York, 1924), p.167.

موسى ويفتخر بموته ودفنه؟ ثم لما كان سفر العدد ٢١ : ١٤ قد ذكر كتاباً أسماه (كتاب الحروب) كمصدر فكيف يكون موسى بذلك أول كاتب بين اليهود كما يقولون؟ ثم هنالك عبارة في سفر العدد تذكر بأن اليبوسيين يسكنون القدس حتى الآن. ولكننا نقرأ في كتاب (سفر) صموئيل الثاني بأن اليبوسيين استمروا بسكنى القدس بعد احتلال داوود لها. وبهذا يظهر أن العبارة (حتى الآن) التي نقرأها في سفر العدد لا بد وأن تشير إلى وقت تلى حكم داوود (١٠٠٤ ــ ٩٦٣ق. م) أي بحوالي ٣٨٠ سنة بعد الزمن الذي يفترضه الباحثون لخروج موسى من مصر[١].

وفي سنة ١٦٧٠ وبعد فترة قصيرة من طبع كتاب الليفياثان أصدر بنديكت سبينوزا (Benedictus Spinoza) آراءه الفلسفية (Tractatus Theologie Politicus)، الذي لم يتأثر بآراء هوبس بما جاء فيه وأيضاً عرض شكه في كتابة موسى لأي جزء من الأسفار الخمسة. واهتم الكتاب بخبرات سبينوزا وفلسفته في وحدة الوجود (Pantheism) وبحث بصورة عرضية نقد العهد القديم. وقد لاحظ سبينوزا في سفر الخليقة ١٤:١٤ عبارة تعقب إبراهيم أعداءه حتى دان. وهنا أخذ سبينوزا يتساءل بأن دان في عصورها الأولى لم تعرف بهذا الإسم بل بأسم آخر هو لاخيش (Lachish).

وهذه تدل على أن هذا الفصل/العبارة لا بد وأن كتبت في زمن لاحق. ووجد سينوزا أثناء تفتيشه عن دليل يدعم آراءه أن ابن عزرة الحبر اليهودي قد بيّن سنة ١١٥٠ بأنه يشك بكون موسى قد كتب الأسفار الخمسة ولكن عليه السكوت خوف سريان الشك إلى العقيدة[٢]. ولم يتقبل الكل أراء سبينوزا وأصدرت الكنيستان الكاثوليكية والبروتستانتية سوية ٣٧ قراراً ضدّها في الوقت الذي حكمت الجالية اليهودية بنفيه.

---

(١) Edward Mc queen Gray, op.cit., p.77.
(٢) Ibid, pp.94-97; Duff, op.cit., p.133.

وحصل ريتشارد سيمون الراهب النرويجي على نسخة من كتاب سپينوزا موضع الجدل وصمم على دراسته ودحضه بالأدلة الساطعة. ولكن سيمون لدى قراءته الأسفار الخمسة للحصول على نقاط يدحض بها آراء سپينوزا وجد بأن هناك اختلافات كثيرة في أسلوب الأسفار وتناقضات ملحوظة. فلماذا هناك ثلاث قصص للطوفان كل واحدة منها تختلف عن الثانية في تفاصيلها؟ فإذا كان موسى فعلاً قد كتب هذه الفصول فإن قصة واحدة تكون كافية، ولماذا يريد الله الإنسان أن يتعثر؟ فخرج الراهب الكاثوليكي بالاستنتاج بأنه هو نفسه يشك أيضاً في حقيقة كتابة موسى للأسفار الخمسة.

وطبعت نتائج بحث سيمون سنة ١٦٧٨ في كتاب (تاريخ نقد العهد القديم) بالفرنسية (Histoire Critique de Testament Vieux)، وكانت بذلك أول دراسة تخرج إلى حيز الوجود بقلم عالم لاهوت متخصص بدراسات العهد القديم نفسه وليس بفيلسوف. ولهذا السبب أطلق جوهان هيـردر (Johann Hertder) الناقد الأدبي الألماني المعروف من القرن الثامن عشر على ريتشارد سيمون اسم (أبي النقد الخارجي). وأحرق بوسوت (Bossuet) معـارض سيمون ست نسخ حصل عليها من دراسة سيمون هذه. كما طرد سيمون نفسه من التنظيم الرهباني الذي ينتمي إليه ونفي إلى أبرشية صغيرة حيث مات وسط ظروف غامضة[(١)].

ودرس كتاب سيمون هذا أستاذ العبرية البروتستانتي في جامعة أمستردام واسمه جين ليكليرك (Jean Le Clerc) لغرض كتابة رد عليه ولكنه وجد خلال دراسته أن سيمون على حق وأخرج سنة ١٦٨٥ كتابه الموسوم (مشاعر بعض لاهوتيي هولندة حول تاريخ العهد القديم.

(Sentiments of Some Theologians of Holland Concerning the History of The Old Testament)

---

(١) Duff, op.cit., p.141; McQueen Gray, pp.101-109; Briggs, op.cit., p.198; Smith, op.cit., p.33.

ودوّن فيه عبارة سفر الخليقة الواردة في ٣٦: ٢١ والتي نصها (هؤلاء هم الملوك الذين حكموا في أيدوم قبل أن يحكم أي ملك على الأسرائيليين) واستنتج كون العبارة تفترض وجود ملكية في أيدوم في وقت لم تشكل فيه بعد الملكية بين اليهود. ولهذا فلا يمكن أن تكون هذه العبارة / السفر قد دونت من قبل موسى بل لا بد أنها كتبت بعد مضي ردحٍ من الزمن بعد حكم أول ملك على المحتلين العبريين (شاؤول ١٠٢٠ ــ ١٠٠٤ ق.م.). إلى جانب تدوين ليكليرك لثمانية عشر تناقضاً في عبارات كتاب الخليقة. وأن ليكليرك لم يدرك مدى أهمية اكتشافاته في حقل نقد العهد القديم[1].

وبعد قرن من الزمن تقريباً كتب الطبيب الفرنسي جان أستروك (Jean Astroc) في موضوع نقد العهد القديم. وكان والد أستروك هذا من عائلة يهودية اعتنقت المسيحية وكان هو نفسه قساً بروتستانتياً انقلب بعدها إلى المذهب الكاثوليكي. وغدا جان أستروك الطبيب الخاص لدوق أورليانز ثم لملك بولندة وأخيراً للويس الخامس عشر. وكان معروفاً في القرن الثامن عشر بمؤلفه عن الأمراض الزهرية الذي قاده إلى دراسة موضوع «النجاسة» حيث ربطت كتابات العهد القديم هذه الأمراض بالذنب والعقوبة التي ينزلها الله على الشرير. وعند دراسته للعهد القديم وجد جان أستروك الكثير من العبارات المتناقضة والتكرار وأضاف بأنه وجد موسى يتكلم عن حقائق حدثت بـ ٢٤٣٣ سنة قبل ميلاده. فكيف يتذكر موسى هذه الأثباتات والقوائم الطويلة من الأسماء وتواريخها؟ ولاحظ أن الله عرف بأسمين هما جاهوفة وأيلوهيم. وطبع كتابه الذي تضمن تخميناته وآراءه عما قدمه موسى لسفر الخليقة سنة ١٧٥٣.

(Conjecture sur le Memoires Originaux dont il Parole Que Mouses se servit pour composer le livre de la Genese).

والذي قسم به سفر الخليقة إلى أربع أعمدة. فجميع العبارات التي تشير

(١) Mc Queen Gray, op.cit., pp.116-120.

إلى جاهوفة (ياهوة) وضعها في العمود« أ »ووضع كل الاشارات إلى الله باسم ايلوهيم في العمود«ب»والتي تتضمنها سوية (أيلوهيم وجاهوفة) في عمود ج بينما وضع في العمود د التي لم تذكر أياً من الإسمين[١].

وكان هذا الاكتشاف على غاية من الأهمية بالنسبة إلى دراسات العهد القديم. فقد درس الباحثون الذين أتوا بعد أستروك تصانيف أعمدته وأسموها (J) أي جاهوفة و(E) أي أيلوهيم وأعتقدوا بأن هناك بضعة قرون من الفارق الزمني بينهما.

وفي نفس السنة التي أصدر بها أستروك دراسته، اكتشف المطران لواث (Lowath) أمراً هاماً آخر. وتتلخص نتائجه بحقيقة كون الفصول والعبارات التي تناقل بها العهد القديم خلال القرون لم تستند على أسس أدبية لغوية معقولة. ويدل أسلوب اللغة على أن بعض أقسام العهد القديم (المزامير، الأمثال وأكثر كتب الأنبياء) شعرية بينما كتبت الأسفار الأخرى نثراً أمثال التاريخية منها والشرعية[٢].

وتأتي الخطوة التالية في نقد العهد القديم من العالم الألماني جوهان كوتفريد فون هيردر (Johann Gottfried Von Herder) الذي حضر الكثير من محاضرات الفيلسوف كانت وسافر كثيراً مقابلاً خلال أسفاره الكثير من العلماء المعروفين في عصره ومنهم جويتة. وكتب هيردر في مواضيع عدة كالفلسفة والشعر والنقد الأدبي وطبع أكثر من ٤٥ كتاباً خلال حياته. ومن أفكار هيردر الأساسية أن الشعر يستحوذ على الطبيعة الداخلية للشعوب وبذلك تؤدي دراسة الشعر إلى تفهم الأمم. فانبرى هيردر جامعاً ودارساً أساطير الكثير من الشعوب وبالأخص الهندية والمعروفة بين الأسكيمو وبعدها طبق ما لديه من آراء على العبريين[٣].

---

(١) Duff, op.cit., p.157; Mc Queen Gray, op.cit., 129-138; Briggs, op.cit., p.202; Smith, op.cit., p.34.

(٢) Briggs, op.cit., p.203.

(٣) Briggs, op.cit., p.203; Thompson, 11, p.577.

وفي ذات الوقت برز جوهان ديفيد مايكلز (Johann David Michaels) في مدينة كوتينكن بألمانيا الذي درس بحوث المطران لواث وجان أستروك وعرض ما توصل إليه من آراء على جوهان أيشرن (Johann Eichern) من ينا (Jena). وطبع مايكلز (١٧٨٠ ـ ١٧٨٣) ثلاثة مجلدات من كتابه مقدمة في العهد القديم (Einleitung Im Alte Testament) الذي جمع نتائج بحوث سيمون وأستروك ولواث وهيردرو بين فيه أن اليهود ليسوا بشعب الله المختار ويجب أن يعاملوا كأي بشر آخرين دونما ثمة تمييز وتفضيل وأيد كون العهد القديم ليس من كتابة موسى وهو ليس بموحى ولا يمكن أن تكون وراءه قوة إلهية[١].

وكثيرون يعتبرون العالم الاسكتلدني ألكسندر كيديس (Alex. Geddes) (١٧٣٧ ـ ١٨٠٠) أبا النقد الخارجي للعهد القديم [٢]. وبدأ اهتمام كيديس في المعهد القديم منذ طفولته فحفظ عن ظهر قلب وهو في سن الحادية عشرة ذاك الكتاب ودرس في دير اسكتلندي ليصبح قسيساً ثم ذهب إلى باريس حيث درس اللغة العبرية بجامعة السوربون وعاد بعدها إلى أسكتلندة ليترجم العهد القديم إلى الإنكليزية ويدير أبرشية. وفي سنة ١٧٧٩ أخرج من أبرشيته لحضوره صلاة بكنيسة بروتستانتية فرحل إلى لندن سنة ١٧٨٠ وصار صديقاً حميًا للمطران لواث. وطبع كيديس سنة ١٧٩٢ كتابه الذي أسماه الكتاب المقدس أو الكتاب الذي يعتبره اليهود والنصارى مقدساً.
(The Holy Bible or the Book Accorded Holy By the Jews a and Chritians)

وأخرج سنة ١٨٠٠ مجلداً آخر مشتملاً على آراء أخرى في نفس المجال. ووضعت هذه الدراسة حقاً المبدأ الذي يعتبره الكثيرون أساس وهدف النقد الخارجي ألا وهي تحرير دراسة العهد القديم من اللاهوت العقائدي، فيقول

---

(١) Bridggs, op.cit., p.204; T.K. Cheyne, Founders of the Old Testament Critioism; Biographical Descrisptive and Critical Studies, (London, 1893), p.13.
(٢) Mc Queen Gray, op.cit., p.174.

ما نصه «أن الكاثوليكي العامي والبروتستانتي العامي على صعيد واحد في هذا المجال. فالقليل، بل القليل جداً، من كليهما يعتقد بضرورة تفحص الأسس الأولى لعقائدهم بصورة جدية. فالعامي الكاثوليكي يسند آراءه عن عصمة الكنيسة رغم معرفته جيداً أين ترسي العصمة المفترضة.. فيقرأ في كتبه.. بأن الكنيسة لا يمكنها أن تخطىء فيما تعمله. فمن هذه اللحظة طرح العقل جانباً.. والعامي البروتستانتي يعتقد بكتاب أسمه الكتاب المقدس يؤمن بعصمته وكونه كلمة الله. وأنه لقن قبل أن يتقن القراءة والكتابة بأن الكتاب المقدس هو كلام الله لا يسري إليه أدنى شك. أما الرومانسيون فقد جادلوا وبطريقة فظيعة للبرهنة على عصمة الكنيسة عن طريق سلطة الكتاب المقدس المستمدة من عصمة الكنيسة) (١).

والخطوة الثانية لكيديس هي توسيعه نطاق النقد من سفر الخليقة ليشمل كافة أسفار موسى الخمسة. واكتشف بأن كتاب يشوع قد كتب بنفس الأسلوب الذي دونت به الأسفار الخمسة وعلى هذا الأساس اعتبرت الكتب الستة وحدة أطلق عليها اسم الكتب الستة الهكسيتيوك). كما اقترح بأن الهكسيتيوك ليس مشتقاً من وثيقتي (J) و (E) فحسب بل من مصادر عدة.. وقسم سفر الخليقة بين سبعة عشر مؤلفاً مقسماً العبارات بينها مشيراً إلى تلك التي تذكر يعقوب والأخرى التي تذكر إسرائيل ثم إبراهيم وأبـرام والضمير للشخص الثـاني المخاطب بشكليه. ورغم أن البحوث الحديثة لم تعد تتفق وتقسيم كيديس الأخير هذا إلّا أنها تؤيد نتائجه بتعدد المصادر عن كتب أخبار الملوك الأربعة وكون وثيقة (J) يمكن قسمتها إلى (J) الأولى والثانية (٢) ومن أن الوثيقـة الكهنوتية المساة بـ(P) يمكن قسمتها إلى (P) الأولى والثانية (٣).

---

(١) Ibid, pp.178-179.

(٢) Raymond A. Bawman,, «Old Testament Research between the Great Wars, in Willoughby M.R., The Study of the Bible Today and tomorrow, (Chicago, 1947), pp.16-17.

(٣) George Buchanan Gray, a Critical Introduction to the Old Testament, (New York, 1924), p.41.

ولم تلق دراسات كيديس التقبل اللازم في إنكلترة ولم تحرمه الكنيسة الكاثوليكية ولكنه دفن دونما قداس(١) . وفي سنة ١٨٠٥ ترجم كتاب كيديس إلى اللغة الألمانية.

ويجد علماء نقد العهد القديم في المانية حرية أكثر نظراً لانعدام الوحدة السياسية للبلد آنذاك. فإذا لم يجد الباحث تشجيعاً من حاكم يمكنه الانتقال إلى منطقة أخرى وجامعة ثانية إلى جانب كون ألمانيا في القرن التاسع عشر قد شهدت ثورة حقة في البحث العلمي إلى جانب الآثار الوخيمة التي تركتها الثورة الفرنسية ونتائجها (حروب نابوليون) على فرنسا وإنكلترا، عكس ألمانيا التي أدت بها إلى قطع قيود التقاليد البالية وتشجيع العلماء وحرية البحث والفكر. وأول بحث علمي أتانا من ألمانيا كان لكارل ديفيد أيلجين (Karl David Ilgen) وأصدر كتابه (وثائق أرشيفات معبد القدس في هيئتها الأصلية:

Doucuments of the Archives of the Temple of Jerusalem in Their Original Form.

فقد اكتشف أيلجين بأن وثيقة أستروك التي دعاها الأيلوهية (E) يمكن قسمتها إلى الأيلوهية الأولى (El) والثانية (E2) وأستنتج بأن الأيلوهية الأولى مفصولة عن الثانية بفارق زمني يوضحه اختلاف اللغة والأسلوب والحوادث المروية(٢) . ولكن آراء أيلجين لم يتقبلها الكثيرون نظراً لوقوف الباحث المعروف هاينريش أيوالد (Heinrich Owald) ضدها مستغلاً سمعته العلمية المفيدة وسعة اطلاعه (حيث ألف الكثير من القواميس بالعربية والتركية والقبطية والسنسكريتية إلخ)(٣) .

وفي سنة ١٧٩٩ ذهب إلى ينا للدراسة على يد أيلجين فرنسي اسمه دي ويت (W. M. Dewrtte) حصل بعد ست سنوات على شهادة الدكتوراه. وقد

---

(١) Smith, op.cit., p.36, Mc Queen Gray, op.cit., pp.171-179; Bridggs, op.cit., pp.207-209; Cheyne, op.cit., pp.4-9; Thosmpson Cooper,]Gedds, Alexander», Dictionary of National Biography, Vol.21, (London, 1890), p.100.

(٢) Mc Queen Gray, op.cit., p.169; Smith, op.cit., p.36; Cheyne, op.cit., pp.26-49.

(٣) Thompson, Vol.2, op.cit., pp.577-79; Cheyne, op.cit., pp.73-107.

اكتشف دي ويت لأول مرة بأن كتاب الملوك الثاني، الفصلان ٢٢ و٢٣ تذكر بأن كتاباً قديماً بالقانون قد عثر عليه الكاهن هلكايا سنة ٦٢١ ق. م. ولما كان سليمان قد قدم أضاحي حرق في محل العبادة العالي عند قبية (Gibeon) المدونة في سفر الملوك الأول ٣: ٤ وهو طقس حرمته وثيقة التثنية ١٢ واستناداً إلى كون الفصول التي تلي سفر الملوك الثاني ٢٢ ــ ٢٣ خاصة بحملة للقضاء على ممارسة تقديم أضاحي الحرق في محلات العبادة العالية المحلية استنتج دي ويت بأن كتاب التثنية الذي ذكر هذا التحريم لم يكتبه موسى أو أحد عاش بتلك الفترة وأن الكتاب أو أكثر أقسامه لا بد وأنه كتب حوالي ٦٢١ ق. م. زمن الملك، يوشيا(١). وبذلك يكون دي ويت مكتشف وثيقة التثنية، ومهد هذا الاكتشاف السبيل له للتدريس في هايد لبرك سنة ١٨٠٧ وانتقل سنة ١٨١٠ إلى جامعة برلين ثم بال سنة ١٨١٩ حيث بقي حتى وفاته سنة ١٨٤٩.

وفي سنة ١٨٣٨ أخرج ويليام فاكته (Wilhem Vakte) تلميذ هيجل وكانت كتابه العهد اليهودي القديم (Die Alten Juedischen Testament) وقد سبق له أن أخرج كتاباً في تاريخ إسرائيل من وجهة نظر تطورية. وأن السؤال الذي طرحه فاكته كان سبب معارضة الأنبياء لتعدد الأرباب وعبادة بعل وتقديم الأضاحي في المحلات العالية المحلية التي تظهر منتشرة شائعة في أيامهم بينما يفترض تحريمها بقرون من قبل الكهنة. واستنتج بعدها بأن معارضة الأنبياء لا بد وأنها سبقت تحريم الكهنة بكثير(٢). والمعروف حالياً أن العبريين أخذوا كل هذه نتيجة امتزاجهم التدريجي مع الكنعانيين وأن اكتشاف فاكته كون الأنبياء قد سبقوا الكهنة كان بالغ الأهمية.

واكتشف هرمان هوبفيلد (Hermann Hupfreld) من هالة ــ المانيا سنة ١٨٥٣ تبايناً بين الوثيقة الأيلوهية الأولى (E1) والثانية (E2) على أساس فرق

---

(١) Smith, op.cit., p.37; Duff, op.cit., p.163.
(٢) Cheyne, op.cit., pp.138-140; Thompson, Vol.11, op.cit., p.570.

الأسلوب واختلافه والذي سبق أن لوحظ من قبل أيلجين سنة ١٧٩٨. ودون هوبفيلد في كتابه مصادر سفر الخليقة وطريقة مزجها (Sources of Genesis and the Mode of Their Combination) بأن الوثيقة الأيلوهية الثانية هي النسخة الخاصة بالكهنة (الكهنوتية ـ P• فأطلق عليها هذا الاسم) [١].

ومزج كراف (K. H. Graf) الأستاذ في جامعة لايبزك بألمانيا تاريخ فاكتة مع اكتشاف هوبفيلد للوثيقة الكهنوتية وأرخها إلى سنة ٤٤٤ ق. م. وهي الوثيقة التي اعتقد أولاً بأنها الأكثر قدماً لذكرها معلومـات عن آدم ونوح وإبراهيم إلخ [٢]. وأن اكتشاف ولهاوزن بالواقع هو الذي أدى إلى تعريف الكل بما اكتشفه كراف. فقد درس يوليوس ولهاوزن (١٨٤٤ ـ ١٩١٨) من كوتنكن بألمانيا بجامعة هذه المدينة ثم درس فيها [٣].

وطبع ولهاوزن ملخصاً بما توصل إليه في كتابه المعروف تاريخ إسرائيل الذي حوى أيضاً ما توصل إليه العلماء من نتائج في حقل نقد العهد القديم، وهو الموضوع الذي عرف باسم كراف ـ ولهاوزن. واهتم ولهاوزن بحقيقة كون الوثيقة الكهنوتية هي آخر الوثائق المكتوبة. وقد اعتبر غير المختصين والمتحررين هذه محاولة للبرهنة بأن الكتاب المقدس زيف ولهذا السبب فقد كتبت الآلاف المؤلفة من الكتب والكراسات ضد ما يسمى بموضوع كراف ـ ولها وزن. وأن الفكرة الأساسية في كتاب ولهاوزن كون كتب القضاة وصموئيل التاريخية قد شيدت المذابح المحلية لتقديم الأضاحي بكل مكان. فبعد حكم سليمان وفترة الأنبياء الأوائل أمثال أموس وهوشيا لم يتسامح أي ملك مع الطقس المذكور والقدس أصبحت المركز الديني.

وفي سفر لاويين ١٧ نرى القوانين الكهنوتية التي تحرم هذه. فوثيقة التثنية موجهة للناس والوثيقة الكهنوتية إلى الكهنة. ففي ٢٤ ـ ١٦: من الفصل

---

(١) Smith, op.cit., p.37; Duff, op.cit., p.163.

(٢) A. Strochen, Old Testament Criticism, Encyclpaedia of Religion and Ethics (New York, 1951) ed. James Hastings, Vol.4, p.316.

(٣) Bowman, op.cit., pp.12-14.

الرابع للوثيقة الأيلوهية الثانية (E2) أي (J) نشاهد نسخة أولية عن أصول الختان. فجاهوفة كـرجـل مكـون من لحم ودم يجوب الأرض مثل آدم. وأن جاهوفة كان على وشك أن يقتل موسى وأخذت زوجة موسى جزءاً من لحم إبنها ولمست موسى بالدم حتلأ يطلقه جاهوفة.

وفي سفر الخليقة ١٧ : ٩ ـ ١٤ نجد أصل الختان ولكن ليس مع جاهوفة بل مع أيلوهيم. وهنا كانت على شكل اتفاق بين إبراهيم وأيلوهيم لتدل على كون أبناء إبراهيم هم شعب الله المختار[١] . ويظهر أن الرواية الثانية قد كتبت بعد الأولى ولو أن الميثاق قـد عزي إلى إبراهيم.

والبرهان الآخر الذي استخدمه ولهاوزن للبرهنة على نظريته كـان في سفر حزقيال ٣٣ ـ ١٠ (خطايانا وذنوبنا ثقيلة علينا. .) وفي سفر لاويين ٣٦ ـ ٣٩ نقرأ (والباقون منكم يفنون بذنوبهم في أراضي أعدائكم). ولا يمكن أن تكون هذه العبارات قد كتبت بفارق زمني كبير بل إنها من كتابة شخص واحد[٢] .

وهناك جهود جون وليام كولونيس (John William Colones)، الذي عين خورياً في الناتال سنة ١٨٥٣. وعندما كان كولونيس يترجم العهد القديم إلى لغة الزولو رأى أن عليه أن يدرس العهد القديم من زاوية جديدة نظراً لعمله بين ظهراني المواطنين الأفارقة. فقد لاحظ الآخرون الـذين يمارسـون تعدد الزوجات أن الآباء في العهد القديم كانوا يمارسون تعدد الزوجات وأخذوا يتساءلون لماذا لم يسمح لهم أنفسهم بذلك؟ وكان كولونيس يفضل ضرورة تعميد المتزوجين بأكثر من واحدة وقبولهم في حظيرة الدين المسيحي ولكن رؤساءه رفضوا ذلك. وأتى شكه الثاني عندما درس الأرقام الذي يذكرها العهد القديم وظهرت له استحالة التسليم بصحتها. ففي كتاب الخروج فإن أول عيد فصح يهودي (Passover) تطلب ١٥٠ ألف حمل والتي معناها وجود مليوني رأس من

(١) Julius Wellhasen, translated by J. Southerland Black, and W.R. Smith, Prolegomena to History of Israel, (Edinburgh, 1895), p.340.

(٢) Ibid, p.361.

الغنم والتي يتطلب لها ٤٠٠ ألف أيكر من المراعي. ثم حقيقة كون كل هذه قد ذبحت في ليلة واحدة أثارت به الشك. وأدت هذه العوامل به إلى دراسة البحوث الألمانية في نقد العهد القديم. وفي سنة ١٨٦٥ (بعد سنة واحدة من تحريمه) طبع كتابه ـ (Crisis Hup-Feldians)، وكانت آراؤه مشابهة إلى ما قدمه كراف عن كون الوثيقة الكهنوتية (P) هي أحدث وثائق أسفار موسى الخمسة [١]. ولم تلق آراء كولونيس أي رد فعل في إنكلترة لأن المعروف عنه بين الكل في بلده بأنه قد ذهب ليحول الأفارقة إلى المسيحية ولكنهم حولوه إلى دينهم [٢].

ولكن الذي أعطى لبحوث ولهاوزن ـ كراف شعبيتها في إنكلتر، كان ويليام روبرتسون سميث (William Robertson Smith). وكان سميث ابن قسيس اسكوتلندي مشيخي (Presbyterian) درس ليكون قسيساً مثل والده ولكنه صار أستاذاً للعبرية في جامعة أبردين. وقد درس الرياضيات لمدة طويلة وولع في الفيزياء واطلع على بحوث العلماء الألمان في العهد القديم وزار ألمانيا مرات عدة وكتب في الطبعة التاسعة من دائرة المعارف البريطانية مواضيع عن الكتاب المقدس ـ إبراهيم والتي كان متأثراً بها كل التأثر بآراء المدرسة الألمانية. وكان تأثيرها على القراء الأنكليز بعيد الغور. وأخيراً دعى ريني (Rainy) مدير الهيئة المشيخية لمحاكمته حسب القانون.

وفي سنة ١٨٧١ منع سميث من الكتابة في دائرة المعارف البريطانية، وفي سنة ١٨٨٥ ترجم كتاب ولهاوزن (تاريخ إسرائيل) إلى الإنكليزية. وقد توفي سميث سنة ١٨٩٤ ونظر إليه كشخص أراد أن يبرهن بطلان العهد القديم. ولم يكن سميث يتملك الأصالة ولكنه اكتسب شعبية بمحاكمته التي دعا إليها ريني وتعريفه قراء الإنكليزية ببحوث كراف ـ ولهاوزن [٣].

---

(١) Duff, op.cit., pp.154, 168,172; Cheyne, op.cit., pp.196-201; William G. Ballentine, Understanding the Bkble, (Bosten, 1930); pp.144-157.

(٢) Ballentine, op.cit., p.149.

(٣) J.S. Bleck and G.W. Chrystal, The Life of William Robertson Smith, (London, 1912). Thompson, Vol.11; op.cit., p.555; G.P, Goach, History and Historians in the Nineteenth Centyry, 2nd ed. (London, 1913); pp.527-530.

وفي فرنسا لعب رينان نفس الدور الذي لعبه سميث في انكلترة. ومثل سميث درس رينان ليكون قسيساً ولكنه ترك العمل سنة ١٨٤٠ نظراً لما كانت تقوده نظراته الفلسفية وهجر دراسة الدين نهائياً سنة ١٨٤٦ متجهاً إلى الكيمياء في وقت ظل يكتب مقالاته إلى المجلات الفرنسية. وفي سنة ١٨٥٩ رشح ارنست رينان (Ernest Renan) لتدريس اللغة العبرية في الكلية الفرنسية ولكن الحزب الكاثوليكي عارض التعيين فأرسله الامبراطور نابوليون الثالث إلى سورية لدراسة الآثار الفينيقية. وأدت هذه الرحلة به إلى إخراج كتابه حياة المسيح سنة ١٨٦٣. وكتابه هذا كان أول محاولة لدراسة المسيح كشخصية تاريخية. وقد أضاع منه فرصة تدريس العبرية في باريس لأنه أشار إلى المسيح في رسالته لقبول المنصب بأنه الشخص (لا كأقنيم من أقانيم الثالوث المقدس) الذي لا يقارن بأحد. وبين سنتي ١٨٩٠ـ١٨٩٤ أصدر كتابه عن تاريخ شعب اسرائيل (Histoire du Peuple d'Israel) بخمس مجلدات والذي كان عبارة عن النسخة الفرنسية لنظرة كراف ـ ولهاوزن.

وحاول بعض العلماء الكاثوليك اتباع تقليد رينان (١٨٢٣ ـ ١٨٩٢) خاصة الأب الفريد لويزي (Abbe Alfred Loixy)، الأستاذ في المعهد الكاثوليكي الفرنسي (١٨٥٧ ـ ١٩٤٠) والأب لاكرانج (ألبرت واسمه الديني كان جوزيف ـ ماري لاكرانج) (١٨٥٥ ـ ١٩٣٨) من الأخوان الدومينيكان في فرايبورك. وقد أجاب البابا على كل هذه الاراء حول المعهد القديم في منشورين طبع الأول منها في ١٨ تشرين ثاني سنة ١٨٩٣ الذي نص بأن ما في الكتاب المقدس لا يسري له الشك والخطأ والثاني في ٣ تموز سنة ١٩٠٧ الذي يندد بالتجددية وأوجهها المختلفة [١].

وفي سنة ١٩٣٧ قدم موركينستاين (J. Morgenstein) الأستاذ اليهودي في الكلية العبرية الاتحادية بسنسناتي أوهايو بالولايات المتحدة الأميركية (The

(١) George J. Reid, The Catholic Encyclopaedia, (New York, 1908), Vol.4, pp.491-497.

(Hebrew Union College) بعض التعديلات على نظرية الوثائق الخمسة. فبالنسبة إلى النظرة السابقة فإن الديكالوك (Decalgue) أي الوصايا العشر في سفر الخروج ٢٠ : ٢ ـ ١٧ وبقية الفصل والفصول القليلة التالية من كتاب الخروج جزء من الوثيقة الايلوهيـة (E) ولكن موركينستـاين ربط خروج ٢٠ :١٨ـ٢٦ التي تتضمن وصفاً لجاهوقة كانسان كبير الحجم يعيش على جبل يهتز في صحراء سيناء مع وصف مشابه في سفر العدد ١٠ :٢٣ـ٢٤. ففي سفر الملوك الأول ١٣،١٥ هناك إشارة إلى إصلاح ذي قيمة في رأي موركينستاين فبذلك تكون الوصايا العشر هي أقدم وثيقة في العهد القديم وانها بدأت في صحراء سيناء وبين أهل مدين أهل زوجة موسى (١). ولذلك فقط اطلق موركينستاين على الوصايا العشر اسم الوثيقة (K) وأرخها إلى سنة ٨٩٩ ق.م. أي بعد وثيقة J بقليل (٢).

وأضاف العالم الألماني ألبرشت ألت (Albrecht Alt) سنة ١٩٣٤ كون مدون الخروج ٢٠ قد وضع أوامره بصيغة النفي (يجب عليك أن لا..) بينما ما سطر في قانون الميثاق (خروج ٢١ ـ ٢٤) قـد وضعت بالإيجاب (إذا قتل رجل آخر..) وبينت الاكتشافات الأثرية للقانون الحثي بأنه يبدأ قوانينه بـ(يجب عليك أن لا..) بينـمـا جـاء في قانون حمورابي بصيغة (إذا رجل.. فإنه يجب أن..) وكانت نتيجة دراسة ألت بأن خروج ٢٠ وخروج ٢١ ـ ٢٣ هي وثائق مختلفة (٣). وبذلك يكون خروج ٢٠ وخروج ٢١ ـ ٢٣ أقدم مما افترض ولهاوزن. ويعتقد البعض بأن موسى قد أحيا ما هو متعارف عليه (٤)

---

(١) J. Morgenstein, The Oldest Document fo the Hexateuch, Hebrew Union College Annual, Vol.3, (1927), pp.1-138.

(٢) Ibid, p.137.

(٣) George G. Mendenhall, Law and Covenant in Israel and the Ancient Near East, (Pittsburg, 1955).

(٤) George Mendenhall; H.H. Rowley, «Moses and the Decalogue», Bulletin of John Rylands Library Library, Vol.34 (1951-52); p.81-118.

ونرى هنا بالطبع أول استخدام (من قبل ألت) إلى ما عرفناه من علم الآثار (قوانين حمورابي والحثيين) في إلقاء ضوء على وثائق العهد القديم.

واعتقد الباحثون أن نظرية دي ويت الخاصة بإصلاح التثنية تحتاج إلى تعديل. ففي العشرينات بين بيري وكينيت بأن وثيقة التثنية يجب أن تؤرخ إلى ما بعد سنة ٦٣١ ق. م. (١) وأعطى الباحثان أوستريشير وويلش (Y. Oestreicher, A. Wlech) تاريخاً أكثر قدماً (٢) وتقبل الكثير من الباحثين نظريتهم (٣). فكل جماعة تظهر إلى الوجود تحتاج إلى ميثاق. واستخدمت الكلمة ميثاق (Covenant) بيريت) ٢٠٠ مرة في العهد القديم وأن معناها اختلف من ميثاق قوس قزح إلى ميثاق الختان وإلى ميثاق الوصايا العشر الخ.. ولكن أي منها كان الأكثر قدماً وكيف إنها قد تبدلت عبر الزمن؟ وما هو الدور الذي لعبه موسى؟ وما الجزء الذي يعود إليه؟ وكم أضيف في العصور التالية إلى الوثيقة؟ كل هذه الأمور يصعب معرفتها. وأقدم جزء من العهد القديم وصلنا حتى الآن هو سفر أشعياء الذين وجد سنة ١٩٤٢ في ما يعرف بنصوص البحر الميت والذي يعود إلى حوالي سنة ١١٠ ق. م.

ويلزم علينا ذكر دور علم الآثار في ألقاء أضواء على ما ورد في العهد القديم. فالآثار العراقية القديمة أظهرت لنا على سبيل المثال قصص الخليقة والطوفان المماثلة لما في العهد القديم بهذين الموضعين. ثم اكتشاف دي موركان لقانون حمورابي بشوشة سنة ١٩٠١ الذي يشابه ما جاء في عهد الميثاق في خروج ٢١ ــ ٢٣ كما أوضح ألت (٤).

---

(١) R. Bowman, op.cit., p.15; G.R. Berry, «The Code Found in the Temple», Journal of Biblical and the Decalogue, (Cambridge, 1920).

(٢) Y. Oestreicher, Das Deuteronomische Grundescitz, (Gutersloh, 1922); A. Welch, The Code of Deuteronomy, (London, 1924).

(٣) Bowman, op.cit., p.16.

(٤) Elmer Mould, Essentials of Bible History, (New York, 1939); p.53.

ويماثل القانون الكنعاني الذي نقرأ عنه في العهد القديم أيضاً. ثم اكتشاف أليرايت لقلعة الملك شاؤول في تل الغول من سنة ١٩٢٣ ـ ١٩٣٣ وهو أقدم أثر للمحتلين العبريين يكتشف لحد ذلك الوقت في فلسطين [١].

وفي سنة ١٩٢٥ ـ ١٩٢٩ اكتشف فيشر (C.S.Fisher) من جامعة شيكاغو وكراي من جامعة هارفرد إصطبلات الملك سليمان في مجيدو [٢].

والأسئلة الهامة التي تفرض نفسها يقف على رأسها وقت تعلم العبريين للكتابة، فهل كان قبل أو بعد الخروج؟ لم تتعرض الأسفار الخمسة لهذا الأمر بل اكتفت بالقول بأن موسى كان أول كاتب بين العبريين، وعرفتنا رسائل العمارنة بأن الكنعانيين آنذاك كانوا زراعاً مستقرين تغزوهم بين آونة وأخرى عصابات الخابيرو التي اعتقد أولاً بأنهم (الخابيرو) هم العبريون. ولكن الذي حيّر الباحثين كون الخابيرو قد أتوا من الشمال والشرق لا من سيناء وذكرتهم المصادر المصرية كسارقين لا كجماعة معينة وأن الحثيين في الشمال قد أثرت عليهم عصابات الخابيرو أيضاً إلى جانب حقيقة ظهور الخابيرو على المسرح قبل الغزو العبري لفلسطين والخروج عن مصر. وهذا ما حدا البرايت إلى افتراض غزوين إسرائيليين لفلسطين الأول سلميّ كان على شكل تغلغل والثاني عنيف وهو الذي تقرأ تفاصيله في أسفار موسى الخمسة [٣]. وهناك رقيمين من رسائل العمارنة يذكران استخدام المصريين لشخص باسم جزري (سامي) اسمه دودو في مركز مقارب إلى ذلك ليوسف في التوارة، الذي قد يكون كنعانياً [٤].

وأتى في سنة ١٩٠٧ اكتشاف سيللين لأريحة (Sellin) وبدأ التنقيب فيها في العشرينات حيث اكتشف عندها سبع مدن: وأعطي التأريخ ٦٠٠٠ ق. م.

---

(١) W.F. Albright, The Archaeology of Palestine, (London, 1949); p.120.
(٢) Ibid, p.124.
(٣) William F. Albright, From Stone Age to Christianity, (Baltimore, 1946), p.212.
(٤) Samuel A.B. Mercer ed., The Tell El-Amarna Tablets, Vol.11, (Toronto, 1939) nos.158, 164.

للأسوار الأولى. وعثرعلى الكثير من تماثيل الربة الأم الكنعانية. وهناك الأدلة على كون المدينة قد أحرقت حوالي سنة ١٣٠٠ ق. م. حقيقة جعلت الباحثين التقليديين يقفزون إلى الاستنتاج بأن هذا الحرق يدل على ما عمله يشوع الذي نعرف عن حرقه المدينة. ولكن ليس هناك أي دليل عن هذا الشخص ودوره في أريحة غير التوراة(١). ثم اكتشاف حجر مؤاب للملك يوشع التي كتبت بألفباء بدائية وتعود إلى ٨٥٠ ــ ٨٣٥ ق. م. كتبها المؤابيون لتخليد ثورتهم على الملك أخاب عاهل دولة اسرائيل الشمالية المحطمة. والمهم أن هذه الوثيقة ذكرت (YHWHI) و (DWD) (دواد) وهو أقدم ذكر لهم في الوثائق التاريخية (٢).

وفي سنة ١٨٩٠ تم اكتشاف كتابة سلوام التي تصف القناة التي حفرها حزقيا والتي ذكرت في سفر الملوك الثاني ٢٠ : ٢٠ وارجع تاريخها إلى نهاية القرن الثامن ق. م. وألفباؤها تشابه تلك من حجر مؤاب وكانت أقدم قطعة باللغة العبرية معروفة حتى ذلك الوقت (٣).

وفي سنين ١٩٠٢ ــ ١٩٠٩ اكتشف ماكاليستير (R.A. Macalister) بمدينة جزر ما عرف بتقويم جزر وهو عبارة عن قطعة فخارية حوت بعض الأرقام التي استعملت كمرشد إلى الفلاح، والتي ذكر كونها أقدم من كتابة سلوام وبذلك صارت أقدم ما أتانا من الكتابة العبرية ولكن ماكاليستير لم يلاحظ الأهمية الكبرى لهذه الاكتشافات. وأعطى البرايت لهذا التقويم التاريخ ٩٢٥ق. م. (٤) وأدلتنا المتوفرة حالياً تؤكد أن العبريين لم تكن لديهم أي معرفة بالكتابة قبل ٩٢٥ق. م. وهذا التاريخ ليس ببعيد عن وقت تدوين وثيقة (J) كما حدده ولهاوزن. وفي سنة ١٩٠٦ اكتشف فلندرز (Flinders Petrie) في سيناء ألفباء

---

(١) William F. Albright, Archaeology and the Religion of Israel, p.14; Albright, From Stone... op.cit., p.94; George Livingston Robinson, The Bearing of Archaeology on the Old Testament, (New York, 1941), p.175.

(٢) Mould, op.cit., pp.56-57.

(٣) Ibid., p.58.

(٤) Albright, Archaeology of Palestine, op.cit., pp.30-31.

أخرى عند مراكز تعدين النحاس أرجع تاريخها إلى الفترة بين ١٩٠٠ ـ ١٨٠٠ ق. م. وحوت على ٣٢ حرفاً يمكن تمييزها وتم ربط ١٥ منها مع حروف حجر مؤاب و ١١ مع الهيروغليفية وميزت كمرحلة متوسطة بين الهيروغليفية والألفباء الحقيقية (١) . واكتشف دانارد (Danard) سنة ١٩٢٣ قبر الملك حيرام في جبيل (بيبلوس ـ Byblos) ترجعه لوحة القبر إلى الفترة بين ١١٠٠ ـ ١٠٠٠ ق. م. وهي أقدم كتابة فينيقية معروفة ولكنها مدونة في حروف أخرى هي كتابة جبيل (٢) .

وأتى في سنة ١٩٢٩ اكتشاف الكتابة الأوغاريتية التي أرجعت إلى ١٤٠٠ ق. م. وهي مرحلة متوسطة بين المسمارية والألفباء الحقيقية. وبهذه اللغة تم العثور على كنز من الأدب الكنعاني الذي يشابه بعض شعره ما جاء في سفر المزامير وهدفها الأعلى إيل (El) وجمعها إيلوهيم وزوجته أشيروت نعرفها من العهد القديم. ثم بعل الرب المهم بعد إيل. ويدخل بعل في حرب مع ليتان (Letan) وهو حيوان بسبعة رؤوس نقرأ عنه في سفر الوحي (Revelation) وفي الأدب العبري تحت إسم ليفياثان (٣) . وللرب إيل هذا بعض صفات رب العبريين (جاهوفة) (كرجل ملتح جالس على عرشه ويسمى أبو السنين).

وفي سنة ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦ اكتشف ستاركي (J.S.Starky) موقع تل الضوير الذي ظهر أنه مدينة لاخيش المدينة الكنعانية الهامة. وعثر في لاخيش على وعاء ماء أرجع تاريخه إلى ١٢٣١ ق. م. ارتفاعه قدماه وعليه كتابة شبه جزرية (شبه سامية) (Pyoto-Semitic) (٤) مشابهة إلى كتابة سيناء السالفة الذكر. وعثر على

---

(١) (47) ibid., p.189; Mould, op.cit., p.199.

(٢) (48) Albright, Archaeology of Palestine, op.cit., p.187; William F. Albright, The Early Evolution of Herbrew Almhabet, Bulletin of Amercan School of Oriental Research, (BASOR), No.63; Oct.1936, pp.8-9.

(٣) (49) Albright, Archaeology of Palestine, op.cit., 197.

(٤) (50) Ibid, p.101.

خنجر هكسوسي يعود لحوالي القرن الثامن عشر ق. م. عليه كتابة بخمس حروف من الفباء القرن الثالث عشر ق. م. [١].

وفي طبقة تالية من لاخيش عثر ستاركي على ما يسمى برسائل لاخيش التي هي عبارة عن ١٨ قطعة فخارية ترجع إلى حوالي سنة ٦٨٩ ق. م. مدونة بكتابة عبرية مماثلة إلى تلك في حجر مؤاب. ورسائل لاخيش أمثلة لأول كتابات بالعبرية تعطينا فكرة ممتازة لأن كتابة سلوام وتقويم جزر لم تحوِ إلاَّ على بعض عبارات غامضة دونما إسم أو تاريخ. وتخبرنا رسائل لاخيش عن علاقات هوشاياهو (Hoshayahu) مع عبده.

وهذه القصة ليست في العهد القديم إلاَّ أن إسم هوشايش موجود في سفر أورمية (١٠٤٢). وأهمية هذه الرسائل تكمن في إعطائها فكرة عن نوع الكتابة والأسلوب الكتابي زمن أورمية [٢].

وعلى هذا فحتى سنة ٥٨٩ ق. م. فإن المكتشفات العبرية نادرة وغامضة فكيف يمكن للعبريين أذن أن يضعوا ويدونوا اجتهادات عقائدية على جانب من التعقيد عن موسى وابراهيم. ويرجع البرايت وعاء لاخيش إلى ١٣٢١ ق. م. (الدال على التأثير الهيراتي على الكتابة الكنعانية). ويشير الوعاء إلى سقوط لاخيش فالخروج لا بد وإن حدث حوالي ذلك الوقت [٣]. كل هذا يدلنا على أن الكنعانيين حوالي سنة ١٥٠٠ ق. م. كانوا يعرفون الكتابات الهيروغليفية والمسمارية والأوغاريتية وكتابة جبيل المقطعية والألفباء الشبه جزرية. فكل معلوماتنا للفترة بين ١٥٠٠ ــ ١١٠٠ ق. م. هي عن الكنعانيين لا عن العبريين بأية صورة. والباحثون تقريباً متفقون على أن العبريين تعلموا الكتابة من

---

(١) Sir Fredrick Kenyon, The Bible and Archaeology, (New York, 1940), pp.194.

(٢) William F. Albright, A Supplement to Jeremiah's The Lachish Ostraca, «BASOR», No.61, (Feb.1936), pp.5-6; S-H. Hooke, Archaeology and the Bible, in The Bible Today, (London, 1956), p.17; Kenyon, op.cit., pp.195-196.

(٣) Albright, op.cit., p.201.

الكنعانيين بعد احتلالهم أجزاء من فلسطين وبعد أن ترك الكنعانيون الكتابة التي سبقت الألفبائية (١) . ولو أن هناك قلة تعتقد بتعلم العبريين للكتابة التي اكتشفها بيتري في سيناء سنة ١٩٠٦ عندما سكنوا هناك (٢) .

خاتمة :

إن الكتب الأربعة (الملوك الأول والثاني والأخبار الأول والثاني) هي أقدم تاريخ يمكن الاعتماد عليه لحد ما عن العبريين. والكثيرون يشكون في ما ورد بالأسفار الخمسة الأولى كحقائق تاريخية. فألبرايت يقول بأنه شكاك إلى حد بعيد جداً (٣) .

وبصورة عامة، فإن الباحثين الآن يتمسكون بنتائج دراسات ولها وزن ــ كراف. أما الباحثون المحافظون فإنهم لا يزالون يرون من الصعوبة نبذ ما وردنا في قصص العهد القديم. فراولي وألبرايت يتقبلون النتائج الأساسية للوثائق الأربع أو الخمس وترتيبها. والغالبية تعتقد أن الكتب الستة هي تبسيط وأن الوثائق الجاهوفية والأيلوهية لم تكتب من قبل شخص واحد (٤) . وأن ألبرايت أكثر الكل تفتحاً وتقبلاً لنتائج دراسات كراف (٥) . وإن عدم اتفاق ألبرايت مع مدرسة ولهاوزن ترتكز على مسألة أصل التوحيد حيث تصر على أنها بدأت في القرن الثامن ق. م. أو بعد ذلك بينما يربطها ألبرايت مع الرب أتون الذي عبده الفرعون المصري أخناتون (٦) .

---

(١) Mould, op.cit., p.201.
(٢) Kenyon, op.cit., p.202.
(٣) Albright, Archaeology and the Religion of Israel, op.cit., pp.27-29.
(٤) H.H. Rowley, The Literary Growth of the Old Testament, in The Bible Today, (London, 1955); p.29; Albright, From Stone... op.cit., pp.189-190.
(٥) Albright, Archaeology and Religion... op.cit., pp.152,159.
(٦) Albright, From Stone... op.cit., p.205.

والنقطة الثانية في عدم الاتفاق بينهما (وهنا يشارك راولي ومندنهول ألبرايت) هو الدور الذي أعطي لموسى. فلم يضع عليه ولهاوزن أي ثقل ولم يعطه أي دور بينما يرجح الآخرون ما وصل عن موسى في التقاليد. ولم يشك ولهاوزن في حقيقة وجود موسى ولكنه يشك في ما أعطي له من أدوار وأعمال في الكتب الدينية ومنها الأسفار. ويفضل ألبرايت وراولي كون وثيقة (J) (الجاهوفية) قد دونت حوالي سنة ٨٥٠ ق. م. [1] وأن وثيقة (K) التي فيها الوصايا العشر التي توصل لمعرفتها موركينسستاين كتبت سنة ٨٩٩ ق. م. فليس هناك أي دليل خارج التقاليد بأن اليهود كانوا يعرفون الكتابة قبل سنة ٩٢٥ ق. م. (تقويم جزر).

ومن المعقول الافتراض بأن أي جماعة لا يمكن أن تتخذ الكتابة وتبدأ في حفظ الوثائق إلّا عندما تجتاز مرحلة التنقل إلى الزراعة والاستقرار وفي حالة العبريين فيكون بعد مدة من احتلالهم أجزاء من فلسطين. واعتبر ألبرايت ولهاوزن مخطئاً باعتباره قائمة المدن في يشوع ٢١، كابتداع متأخر من قبل الكهنة. وأن المعلومات التي وصلتنا من الكنعانيين والحقيين والبابليين والمصريين عن طريق علم الآثار ساعدتنا على تفهم الكثير من الأمور أمثال القوانين والشعر والمعاهدات والقصص الخ. التي نقرأها في العهد القديم. ولنا أن نذكر أن ولهاوزن قد ضرب الكتابات التي وردت في التقاليد عرض الحائط.

(١) Ibid, pp.190-191; Rowley, Literary... op.cit., p.29.